

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

مَعُونَتِكَ كَمَا نَسْتَوْهِبُكَ غَضَّ الْأَبْصَارِ عَنْ عِيُوبِ إِخْوَانِنَا فِي طَاعَتِكَ وَنَسْتَرْزُقُكَ إِلَهَامًا
لَمَّا فِي الْعَبَثِ مِنْ تَضْيِيعِ الْأَصُولِ وَلَمَّا فِي سُرْعَانِ الْقَوْلِ مِنْ عَصْيَانِ الْعُقُولِ وَنَجْتَدِي فَضْلَكَ
أَنْ تَسَلِّمَنَا وَتُسَلِّمَنَا مِنْنا وَتَشْغَلْنَا بِعِبَادَتِكَ وَتَشْغَلْنَا أَهْلَ الْخَطَالِ عِندًا مَتَوَجِّهِينَ بِإِخْلَاصِ
الْيَقِينِ وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ .

وَقَفْتُ عَلَى مَا كَتَبْتَ بِهِ وَذَكَرْتَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْأَدَبِ كَلَّفَكَ الْمَسْأَلَةَ عَنْهُ وَأَعْلَمْتَنِي تَوَجُّهَ طَنْكَ
فِي إِبَانَةِ مُشْكِلهِ وَإِضَاحِ سُبُلِهِ وَتَأَمَّلْتُهُ فَوَجَدْتُهُ شِعْرًا لَا أَحِبُّ أَنْ أَقُولَ فِي صِنَاعَتِهِ شَيْئًا
مُشْتَمَلًا عَلَى أَلْفَاظٍ مِنْ حَوْشِيَّ اللُّغَةِ لَا يَتَشَاغَلُ بِمِثْلِهَا أَهْلُ التَّحْصِيلِ وَلَا يَتَوَفَّرُ عَلَى طَلِبِهَا
إِلَّا كُلُّ ذِي تَأَمُّلٍ عَلِيلٍ لَخُرُوجِهَا عَمَّا يَنْفَعُ فِي الْأَدْيَانِ وَيَعْتَرِضُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَلِمَبَايِنَتِهَا
مَا تَجْرِي بِهِ الْمَذَاكِرَةُ وَتُسْتَدْخَمُ فِيهِ الْمَحَاوِرَةُ وَزَادَ فِي عَجْبِي مِنْهَا صُدُورُهَا عَنِ النَّطِيعَةِ
وَفِيهَا مِنَ الْأَسْتَاذِ الْفَاضِلِ أَبِي الْقَاسِمِ هَبَةِ اللَّهِ بْنِ عَيْسَى أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ بَحْرَ الْأَدَبِ الَّذِي
عَدُّ بُتِ مَوَارِدِهِ وَشَهَابِ الْعِلْمِ الَّذِي التَّهَبَّتْ مَطَالَعُهُ وَرِيَّ الْعُقُولِ الطَّمَاءُ وَطَبَّ الْجَهْلِ
الْمُسْتَفْحَلِ الدِّعَاءِ وَالْبَابِ الَّذِي يَفْتَحُ عَنِ الدَّهْرِ تَجْرِبَةً وَعِلْمًا وَالْمَرَاةَ الَّتِي تَتَصَفَّحُ بِهَا أَوَّجَهُ
الْأَنَامِ إِحَاطَةً وَفَهْمًا .

وَبَعْدَ فَهْمِ الرَّجُلِ الَّذِي سَلَّمَ لَهُ أَهْلُهُ بَلَدَهُ أَنَّهُ شَعْلَةٌ الذِّكَاءِ وَوَارِثُ مُحَاسِنِ الْأَدْبَاءِ وَمِلْتَقَى
شُذَّانِ الْعُلُومِ وَقَاطِعُ تَجَاذِبِ الْخُصُومِ فَإِنْ كَانَ الْغَرَضُ - فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْخَرَابُ الْمَقْصُورَةُ
مِنَ الصَّوَابِ - طَلَبَ الْفَائِدَةِ فَقَدْ كَانَ يَجِبُ أَنْ يُنَاقَشَ عَلَيْهِ بِمُثْقَلِهَا وَيَقْصَدَ إِلَيْهِ بِمَعْضَلِهَا
فَعِنْدَهُ مِفْتَاحُ كُلِّ مَسْأَلَةٍ مُقْفَلَةٍ وَمَصْبَاحُ كُلِّ دَاجِيَةٍ مُشْكَلَةٍ بَلْ لَسْتُ أَشْكُ أَنَّ هَذَا السَّائِلَ
لَوْ جَاوَرَهُ صَامِتًا عَنْ اسْتِخْبَارِهِ وَعَكْفَ عَلَى ذَلِكَ الْجَنَابِ كَاتِمًا لَمَّا فِي طَيِّ مَضْمَارِهِ لَأَعْدَاهُ
رَقَّةً نَسِيمَ أَرْجَاهُ وَهَذَبَ خَوَاطِرِهِ التَّقَاطُفَ فَرَائِدَ لَفْظِهِ وَلَهْدَاهُ قُرْبَهُ مِنْهُ مِنْ ضَلَالَتِهِ
وَلِشِفَاهِ دَنُوهُ مِنْهُ مِنْ جِهَالَتِهِ حَتَّى يَغْنِيَهُ الْجَوَارُ عَنِ الْجُورِ وَالْإِقْتِرَابُ عَنْ رَجْعِ الْجَوَابِ وَحَتَّى
يَعُودَ مُلْهِمًا يَنْطِقُ بِالْحِكْمَةِ وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْ إِظْهَارَهَا وَيَجِيبَ عَنِ الْمَسَائِلِ وَلَوْ لَمْ يَعْرِفْ
أَصُولَهَا وَاسْتَقْرَارَهَا .

هَذَا إِنْ كَانَ يُرِيدُ الْفَائِدَةَ وَإِنْ كَانَ قَصْدُ الْامْتِحَانِ لِلْمَسْئُولِ وَتَعَرَّضَ لِهَذَا الْمَوْقِفِ الْمَدْخُولِ
فَذَلِكَ أَعْجَبُ كَيْفَ لَمْ يَتَأَدَّبْ بِآدَابِهِ الصَّالِحَةِ وَيَعْشُ إِلَى هِدَايَتِهِ الْوَاضِحَةِ وَيَعْلَمُ أَنَّ هَذَا
خُلُقُ أَهْوَجٍ وَمَذْهَبُ أَعْوَجٍ وَسَجِيَّةٌ لَا تَلِيْقُ بِأَهْلِ الْعِلْمِ وَلَا يُؤْثِرُ مِثْلُهَا عَنْ ذَوِي النِّظَرِ
الصَّحِيحِ وَالْحَزْمِ كَيْفَ لَمْ يَعْلَمْ هَذَا الْقَرِيبُ الْمَتَكَلِّفُ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ سَعَادَةٍ
مُكَاثَرَتِهِ وَسَاقَ إِلَيْهِ مِنْ بَرَكَاتٍ مُحَبَّبَتِهَا

